على درب الحرية

الإهداء

إلى الثمن الذي دفعه الأحرار من أعمارهم

عائلة عريقة

في بيت شغفه الكتابة والقراءة كانت ولادتي 1965 كان والدي هو المحفِّز لنا لقراءة الكتب والاهتمام بها.

بدأت في المرحلة الإعدادية بقراءة الروايات العالمية المترجمة وبعض الروايات المصرية بالإضافة إلى الزيارة الأسبوعية لجدي الذي كان من أصحاب الطريقة النقشبندية وكنا نتزود بشكل أسبوعي من علمه الديني المعتدل.

أما عن الجهة الدراسية فكنت متفوقة فيها في كل مراحلها ، وبدأت في المرحلة الثانوية الاهتمام بالكتب الدينية نتيجة قيام الاحتجاجات المناهضة لحكم الأسد (الأب) في الثمانينيات وقتئذٍ ، دفعني إلى قراءة الكتب الدينية والفكر الجهادي المنتشر وقتها.

أما الحادثة التي أشعلت جذوة الثورة ضد الظلم في نفسي فهي عندما رأيت تصفية شباب لا يتجاوز أعمارهم في العشرينيات في مدخل البناية التي كنا نقطن فيها.

وفي المدرسة بدأت تدور نقاشات بين أستاذ القومية وأستاذ الرياضة حول ما يحدث من احتجاجات وعبرت عن رأيي بصراحة وأن ما يحدث إجرام ولا يُمكن أن يتقبله عقل، وهناك ظلم وضحايا لا ذنب لهم.

تم استدعائي لفرع الأمن مرتين وفي المرة الثانية قرروا أني مجرمة بحقهم من أجل ما تحدثت به ، ولم تكن الخمسة عشر ربيعاً تشفع لي ، فقرروا اعتقالي وإخفائي بشكل دائم.

ليلة لا تنسى

في ليلة 15-01- 1981 تمت مداهمة منزلنا ليلاً ، بهدف اعتقالي لانتقل في هذه الليلة من دفء العائلة إلى برد الزنازين لسنين طويلة، خرجت أمي وراءهم وقالت لهم: لن أتركها وحدها أريد أن اذهب معها، ركضت خلف السيارة كأم تحاول انقاذ فلذة كبدها من الخطر لكن لا جدوى ، قالوا لها : ليس لك علاقة ارجعي وسنعيدها لكِ ، وفعلاً رجعت لها لكن بعد تسع سنين عجاف.5

عندما وضعوني في السيارة وضعوا لي الطماشة واقتادوني إلى فرع أمن الدولة، وفي طريقي للزنزانة بدأت اسمع أصوات التعذيب وأرى الدماء في الممرات، واستوقفني صوت امرأة تعذب وتصرخ بصوت مبحوح من شدة التعذيب والمياه تجري من باب غرفة التعذيب، دخلت الزنزانة فإذا بصديقتي هناك، وكأنه لأننا مازلنا أطفال لم أدرك ما ينتظرني وجلست أنا وصديقتي ننشد الأناشيد الدينية ولكن عندما أدخلوا هذه المرآة التي كانت تُعذب استمعت إلى صوتها وعرفته..... أنه صوت ماما رياض.

أمي الثانية تحت التعذيب

عرفت أن تلك المرآة التي كانت في غرفة التعذيب هي ماما رياض كما كنت اسميها لأنها كانت آنستي في الروضة، كانوا يعذبونها بفتح المياه الباردة ثم الساخنة على أذنيها حتى فقدت سمعها في إحدى الآذنين وبات سمعها ضعيفاً في الأخرى ، عندما رأيتها بكيت بكاء شديداً لما رأيته قد حل بها ولمكانتها الكبيرة في قلبي.

بقينا خمسة أيام في فرع أمن الدولة وتم تعذيبي بالكهرباء وبساط الريح والدولاب أو التحقيق معي فهما اسم لأمر واحد، بعدها قالوا لنا سيتم ترحيلكم إلى سجن تدمر ثم إلى كفر سوسة، وصلنا مباشرة إلى سجن كفر سوسة وليس إلى تدمر أما عن زنزانتنا أو مهجعنا كما نسميه نحن المعتقلين فقد كان 20 درجة تحت الأرض دخلنا لغرفة كنا فيها حوالي الـ 19 شخص أما عن المساحة فكان نصيب كل إنسان بلاطة ونصف أي حوالي 35 سم يجب أن يعيش فيها ويجلس وينام وكل شيء كان التواليت في نفس الغرفة وكان علينا أن نستخدم خراطيم التواليت من أجل غسل ملاعق الطعام.. قضيت في هذا المكان حوالي خمس سنوات من عمري، كنا محرومين من أبسط الحقوق فنحن نساء عندنا احتياجات خاصة كما يعرف الجميع وطالبنا عدة مرات فقط بهذه الاحتياجات البسيطة ولكن لا جواب، فكنا نمزق ألبستنا الداخلية لنستخدمها لاحتياجاتنا، حتى ملابسنا فقد كانت هي نفسها التي خرجنا من بيتنا فيها عند اعتقالنا ولك أن تتخيل أنك تلبس نفس اللباس لسنوات، كنا فقط نغسلها بالماء البارد ونلبسها.

يسألني الناس كثيراً وحتى ابنتي تسألني كيف قضيت تلك الأيام وحقيقة أنا ليس عندي جواب كان كل يوم يشبه الآخر لم يكن هناك أمر يحدث سوى وجبة الطعام في العاشرة صباحاً ووجبة في الخامسة مساءاً .

أما عن الطعام لك أن تتصور أنه طعام صالح للبشر، ولكن للأسف لم يكن كذلك ففي كثير من الأحيان كنا نُزيح الحشرات من على وجه الفاصولياء لنكمل طعامنا ، وحتى الكلام قد كان ممنوعاً فإحدى السجينات كانت حافظة للقرآن بالقراءات العشر فكانت تحفظ الآخريات بحركة الشفاه فقط دون أي صوت.

جرم وذنب لا علم لي بهما !؟

كنت أتساءل ما الجرم الذي ارتكبته وأنا ما زلت طالبة في المرحلة الثانوية، تم الإجابة على ذلك بعد حوالي عام من اعتقالي حيث تم استدعائي إلى المحكمة الميدانية فرع كفر سوسة وكان القاضي سليمان الخطيب ومعه رجل آخر وكان إلصاق التهمة جاهزاً، فوجه لي تهمة الانتماء للإخوان المسلمين وحكمني أربع سنوات أنا وصديقتي كوننا لم نتجاوز الثمانية عشرة ، لكن حتى هذا الحكم الظالم لم يُنفذ فقد بقيب في المعتقل تسع سنوات يعني زيادة عن حكمي اللاقانوني خمس سنوات.

الزنزانة الجماعية

كنا في الزنزانة نشترك بشيء واحد وهو أننا مظلومون فقد كان منا نساء تهمتهم أن أزواجهم أو إخوانهم من الإخوان المسلمين ولم يكن لهن أي نشاط مع الإخوان أو غيرهم ، كان معنا نساء من الحزب الشيوعي ومن حزب البعث العراقي ، طبعاً كنا نُعامل كدرجات فالمعتقلات من الحزب الشيوعي كان يُسمح لهم بإدخال الكتب وبالزيارات حتى أن إحداهن من صافيتا كان عندها راديو صغير وكان بيننا طبيبات وحافظات قرآن.

كان في زنزانتنا شفاط هواء كبير وكان يبقى مشغلاً 24 ساعة كنا نشعر أننا نختنق وكانت أصوات التعذيب للرجال لا تهدأ ولا تتوقف ليل نهار لسنواتٍ بقينا على هذا الحال، فطلبنا منهم أن يخرجونا ولو لوقت قصير ،فقط لنشم هواءً طبيعياً فكانوا يخرجوننا كل 20 يوم تقريباً لمدة نصف ساعة ،طبعا كنا نصعد لباحة ثم ننزل لساحة حوالي 30 درجة لفسحة حيطانها عالية جداً ولكننا نرى السماء ونستطيع أن نحلم يوماً ما بحريتنا.

عاطفة أم تغير مجرى الاحداث

وفي أحد المرات رأينا في الباحة العُلوية طفلتين صغار، فاقترب النساء منهن مدفوعين بعاطفة الأم لمجرد رؤية طفل ، وعندما اقتربن من الأطفال خاف الأطفال منهم واستقذروهن ، فكما ذكرت لك نحن بثيابنا نفسها من سنين وأشكالنا كانت مخيفة كالأشباح .... ما حصل آثر كثيراً فينا وخصوصاً الأمهات التي تذكرت أطفالها التي كانت تعانقهم وتشمهم وتضمهم ثم حُرمت منهم ولا تعرف أي شيء عنهم، فاضت المشاعر بين الأمهات وفقدانهم لأولادهم وذكراهم التي لم تعد تتوقف وبدأنَّ بالبكاء.

الإضراب عن الطعام بسبب الأطفال

تناقشنا فيما بيننا مالذي نستطيع أن نفعله؟ فليس لدينا شيء نخسره ولن يحصل بنا أسوأ من الذي نعيشه فاتفقنا على أن نُضرب عن الطعام ، وكان معنا طبيبتين فسألناهم كم نستطيع أن نصمد إذا اضربنا عن الطعام وبقينا على الماء فقط فقالوا: 18 يوم وبالفعل في اليوم التالي ادخلوا الطعام فأخرجناه وقلنا لهم أننا مضربات عن الطعام ، لم يأخذوا الموضوع على محمل الجدية وفي اليوم الذي بعده حسنوا لنا نوعية الطعام حتى أنهم ادخلوا لنا فاكهة وهذا ما كنا محرومين منه لسنين لكننا أصرينا على موقفنا وعلى اختلاف أطيافنا وأيدلوجياتنا كانت كلمتنا واحدة.

في اليوم الرابع جاء رئيس الفرع ناصيف خير بيك واستدعى الطبيبتين واحضر معه صينية طعام فرفستها إحداهن برجلها وقالت له: لن نأكل..... فقام بما يعرفه وما تعود عليه التعذيب، واعتقدوا وقتها أن أمراً قد أتى من قيادة الأحزاب الثلاثة بالإضراب عن الطعام فاعتبروه أمراً خطيراً، ولكن في الواقع كانت صرخة ظلم التي في قلوبنا وأفئدتنا وهي التي جعلت هذا الموقف قوياً وفيه الكثير من الإصرار والعزيمة.

في اليوم الخامس دخلوا للمهجع وأفرغوا كل الطعام الموجود في القمامة لأن البعض كان عندهن طعام خاص بسبب أن لديهم أمراض مثل القرحة وكان يأتيهم طعام وقت الزيارات، بقينا على هذه لكن في اليوم السابع بدأ الضعف يظهر على البعض فالبعض أُغمي عليه والبعض لم يعد يستطيع أن يقوم حتى للصلاة.. فقالت الطبيتين أنه معنا يومين فإذا لم نستفد شيئاً سنضطر لفك الإضراب، في اليوم التالي قالوا لنا أنه سيتم نقلنا لسجن آخر أصعب ظروفاً بسبب ما فعلناه ومع ذلك كنا مجمعين على عدم فك الإضراب بالرغم من ذلك، جاءوا في الليل وقاموا بتقييدنا بالجنازير في أيدينا وأرجلنا وتم تغطية عيوننا، صعدنا إلى الباص لكن.. لا ندري إلى أين.

نعمة السجن المدني

قضيت خمس سنوات في فرع كفر سوسة ، وبدأت مرحلة جديدة من حياة السجن .....وصلنا إلى مكان فرفعوا عن أعيننا الطماشات فرأينا رجال شرطة وليس قوات الأمن، فرحنا... لأنك في سوريا تفرح بالشرطي لأنه إشارة إلى أنك إنسان متهم بشيء وليس حيواناً معارضاً للنظام ، لقد وصلنا لسجن قطنا في ريف دمشق ، السجن عبارة عن بيت عربي من خمس غرف كان ثلاثة منهم مخصصين للمسجونين القضائيين وغرفتان للمعتقلين السياسيين.

كنا ننام على فرشات على الأرض واعتبرنا هذا نعمة كبيرة بعد البلاطة ونصف التي كانت مخصصة لنا في فرع كفر سوسة، وكانوا يحضرون لنا الخضار كي نطبخها نحن كل غرفة لها يوم ، كما كان باستطاعتنا أن نسخن الماء لأجل الحمام ، والخروج للتنفس في الباحة ، كل هذا أشعرنا أننا في نعمة مقارنة بما عشناه سابقاً، أما الزيارات فقد صار مسموحاً بها أيضاً وقد كانت تلك تجربة مفرحة ومؤلمة في الوقت ذاته ، فأغلبنا بعد خمس سنوات كان أهلهم قد سلموا أن أهلهم وذويهم الذين تم اعتقالهم لن يعودوا ، فلم يخرج أحد منا ليخبر ذوينا أين نحن وأننا على قيد الحياة، فكان خيراً مفرحاً لأهلنا أننا مازلنا أحياء وباستطاعهم رؤيتنا لكن كيف كان اللقاء، فبعد هذه السنين تمنينا فقط أن تعانق وتشم وتلمس أمك ... أبيك ... أخيك، ولكن كما قال الشاعر نزار قباني: وبيننا الأبواب والحراس والأوامر العرفية، فقد كان اللقاء من خلال شبك فاصل بيننا يتخلله ممر كان يمشي فيه الشرطة وقت الزيارة كم تمنيت أن ألمسهم فقط لكن حتى ذلك كان ذلك ممنوعاً.

مجتمع صغير داخل السجن

كان السجن المدني بالنسبة لي هو عيني التي فتحت بها على الحياة ، فبعد معرفتي الكاملة مع النساء اللواتي كانوا معي في كفر سوسة واللواتي كنَّ مثاليات وملتزمات لحد كبير أصبحت أرى نساء أخريات ، لم أسمع بتلك التهم من قبل بسبب صغر سني ، فبدأت تلك النافذة الجديدة المليئة بالفضول بالتعرف عليهن وكانوا مصادر معرفتي عن الحياة وكنت ألتقي بهن في فترة التنفس اليومية، في طريقة لفهم الحياة وحتى جرائمهم التي كانوا يقولونها على أنها غير مقصودة وهي علاقات كانت غريبة عليَّ وعلى فهمي للحياة بالإضافة إلى التلفاز الذي يوصلنا بالحياة فهو طريق عالم افتراضي ، فحياة السجن كان كل يوم فيها كالثاني حتى الروتين اليومي ثابت القهوة في الصباح... الطبخ ....الخ حتى أن فترة اعتقالي انتهت ورغم رفع الكتب إلى الأفرع الأمنية بإنهاء حكمي إلا أن الرد يأتي بالتجديد لضرورات أمنية.

بدأت ابني حياتي بهذا الشكل داخل السجن حتى أحلامي التي كنت أحلم بها لم أعد أفكر فيها والتي كانت كتاباً فقط أو أن يسمحوا لي بالدراسة فقد كان ممنوعاً علينا ذلك وكان مسموحاً للمعتقلين السياسين من أحزاب أخرى وكنت أشعر بأن لقائي مع هؤلاء الناس هي نافذة للحياة، فلك أن تتخيل أن نافذتنا الوحيدة أيام المعتقل كانت الأحلام ، في كل يوم نصحو ونروي أحلامنا لمن معنا ونفسرها ونحزن من خلالها ونفرح من خلالها ونبني الأمل من خلالها فقط.

بعد سنة وأربع شهور في سجن قطنا تم أخذ القرار لنقلنا لسجن دوما في ريف دمشق بسبب أن السجن في قطنا بات قديماً ويحتاج للإصلاح فهو على حاله من زمن الاحتلال الفرنسي، وكأن الإصلاح والتطوير كان من نصيب السجون فقط.

سجن دوما

السجن في دوما كان أوسع وكان فيه عدد أكبر من المسجونين ، وقد جاء إلينا سجينات جدد قد تم تحويلهم من المعتقلات وكان أغلبهم من الحزب الشيوعي فجاءت الأوامر من قوات الأمن أن يضعونا بشكل مختلط بحيث تكون فرشة لأحد من الإخوان وفرشة لأحد من الحزب الشيوعي وكان الهدف خلق الفتنة والمشاكل فيما بيننا ولكنا كنا على قدر من الوعي أكبر من ذلك فلم يجر بيننا أي نقاش في الايدلوجيات أو الأفكار وكنا نراعي بعضنا البعض حتى أن السجينات من الحزب الشيوعي لم يكن أحدهم يأكل أو يشرب أو حتى يدخن أمامنا في رمضان، طلبت من السجانين سنارة وصوف وصرت أعمل أشغالاً يدوية وأبيعها داخل السجن للقضائيات فهؤلاء كان معهم المال حتى أن أغلبهن لم يكونوا يبقون في السجن إلا لفترات قصيرة وكانت تأتيهم زيارات من قبل ضباط ومسؤولين.

مع مرور الأيام بدأ التعب والمرض على جميع المستويات يظهرعلى جميع المعتقلات فمن الناحية الجسدية بدأت تظهر الأمراض على الذين كانوا معي حتى من الناحية النفسية بدأ بعضهم يحتاج للعلاج النفسي بسبب أنهم كانوا دائمي التفكير في أهلهم وذوييهم الذين يشتاقون لهم في أبنائهم الذين كبروا بعيداً عنهم، أما أنا فكان عندي عادة أن أفكر في يومي فقط ، فبعد زيارة أهلي كنت أعود لحياتي التي أعيشها في السجن، حتى مدة بقائي في السجن لم تكن محددة على الرغم من أنه كان لدي حكم، حتى أحلام المستقبل لم أعد أفكر فيها، ولعلي كنت أحاول أن أحمي نفسي من خلال ذلك.

ومن أكثر ما كنت ألاحظه على المعتقلات حتى بعد الخروج من السجن أن مشاعرهم تكاد تكون معطلة فلا شيء يُشعر بالفرح أو بالحزن أو بأي نوع من أنواع المشاعر وكأنهم كانوا يحاولون أن يقتلوا الإنسان في داخلنا إن لم يقتلونا كأجساد ، فسجنك يبقى بداخلك حتى بعد الخروج منه.

25-11-1989

قبل ثلاث أشهر تقريباً من هذا التاريـخ دخل في الساعة الثامنة صباحاً مدير السجن ليقرأ أسماء المفرج عنهم قامت الناس تركض وتجري دون أي تفكير فالبعض خرج بثياب النوم والبعض ترك ذهبه الذي كان معه والبعض خرج دون غطاء رأس فخبر الحرية لم تتحمله العقول.

وضعونا في الحافلة ووصلنا إلى فرع الجمارك على ما أظن وهو فرع أمني، أدخلونا زنزانة تحت الأرض.... الصدمة كبيرة على الجميع هل هذا هو الإفراج التي انتظرناه ... هل سنعود للمعتقل بعد أن كنا نعتبر وضعنا في السجن أفضل بكثير.... كانت أصوات تعذيب المعتقلين أمراً مؤلماً جداً وأعاد لنا ذكريات كنا نظن أننا تجاوزناها.

من هول الصدمة بدأ البعض بالبكاء والعويل والبعض طالب بإعادتنا للسجن فقد جاء رئيس الفرع وقال لنا: أنتم هنا عندنا أمانات ولا نعرف متى يأتي الأمر بالإفراج عنكم، وكأننا بضاعة أو سلعة وُضعت في مستودع ، بقينا ثلاث أشهر على هذا الحال ، ثم جاءت لجنة من القصر الجمهوري كان فيها علي دوبا وهشام بختيار وضباط آخرين وطلبوا منا أن نذكر التهم التي وضعوها لنا دون أي تغيير، وبدأنا بسرد التهم وكان معنا امرآة معها طفلة صغيرة فسألها من هذه البنت، فقالت: ابنتي التي ولدتها في المعتقل فأنتم اعتقلموتني وأنا حامل بالشهر الثاني وأخذتم أمي وأختي وزوجي لا أعرف أين هو _ وطبعاً هذه الطفلة ولدت في سجن تدمر على شحاطيط البلاستيك وكان ديارتها أكياس خيش وعاشت طفولتها في بين المعتقلات والسجون، فأجابها وكأنه قد جاء من دولة أخرى ولا يعرف حجم الظلم التي فيها بأننا نعتذر عن ذلك وأننا سنقوم بوضع راتب لهذه الطفلة وكأن الراتب ينهي معاناة طفلة ولدت لتجد نفسها داخل سجن.

نسمة حرية

بعد رحلة طويلة في المحافظات وصلنا لحلب أنا والمعتقلات الذين معي، اتصل الضابط بأهلي على الهاتف الأرضي في ذلك الوقت فردت أمي رحمها الله فقال الضابط: تعالوا خدوا بنتكم فقالت لأخي رحمه الله: تعال صديقك يمزح معنا ، فقال الضابط لأخي: تعال خود أختك. فذهب أمي وأخي لكي يحضروني لأن والدي كان عنده محاضرة في المركز الثقافي، أخي الذي تركته صغيراً صار شاباً دون أن آراه حتى أني خجلت عندما رأيته أصبح شاباً، أما عن شعوراللقاء فكما قلت سابقاً قتلوا فينا المشاعر ، فأخي قال لي فيما بعد أنه كان يشعر أني فرحة من الداخل ولكن وجهي لم يكن عليه تعابير الفرح، بعد إبلاغ والدي رحمه الله بالإفراج عني عاد للمنزل وكانت لحظة لا تنسى فأنا أرى دمعة أبي أول مرة وصار يضمني ويعانقني ويبكي بكاء شديداً كأنه لم يكن مصدقا أنه سيراني مرة أخرى.

تحديات جديدة

بعد خروجي من المعتقل كان أهم تحدٍ هي حالة الغربة الروحية والنفسية التي كنت أعيشها داخل نفسي نتيجة الابتعاد عنهم لسنوات طويلة في فترة الطفولة وخاصة بالنسبة لأهلي ولم أستطع تجاوزها رغم كل الإنجازات والنجاحات التي حققتها، واستطاع والدي أن يخرجني من حالة الغربة إلى حد ما عندما عرض عليَّ أن أعود للدراسة بعد عشر سنوات من الانقطاع.

وكيف لي أن أعود.. ليس فقط للدراسة بل لكل شي طبيعي في الحياة ؟!
كانت الفكرة أني سأجرب العودة للدراسة وبسبب وضعي وخوف أهلي من أن يفقدوني مرة أخرى لم أستطع التسجيل بدورات أو ما شابه، اعتمدت على نفسي ودرست وكان أبي يساعدني كثيراً في الدراسة ، ويوم صدور النتائج أيقظني أبي صباحاً ليقول لي: نجحتي ومجموعكِ 170 من 240 ووقتها رأيت دمعته الثانية حيث أنه قال لي لم أتوقع أن تنجحي وإن نجحت فبمجموع قليل.

لعنة الاعتقال تلاحقني ولكني لم أستسلم

كنت أحب اللغة الإنجليزية وكان علامتي الاختصاصية فيها تؤهلني للدخول في فرع الآداب ولكن أبي نصحني أن أدرس الحقوق لأن فيه مرونة أكثر فأنا لي وضعي الآمني حتى أني كنت ملزمة أن أراجع فرع الأمن العسكري كل شهر وكانوا يسألونني أين ذهبت ومن رأيت وماذا فعلت وفرع الأمن السياسي كانوا يأتون للمنزل كل شهر لنفس الهدف.

دخلت كلية الحقوق وكنت متفوقةً في كل السنوات حتى أنهم اضطروا أن يصرفوا لي رواتب لأني كنت من الثلاثة الأوائل في السنة الثالثة والرابعة في كلية الحقوق.

بدأت العمل وبنيت عالمي الخاص داخل القصر العدلي فمن موكل إلى قاض إلى موظف تعيش داخل هذا المكان ، وقد صرفت فكرة الزواج لأنني كنت أسمع سياط الجلادين من الرجال منذ صغر سني فأصبح نظرتي للرجل وكأنه المعذِّب ،عشت داخل هذا العالم حتى أني صرفت فكرة الزواج من مخططاتي فأنا مكتفية بنجاحي و بما حققته بعد كل ما عشته، وتوقفت عن اجترار آلام ما حصل معي واكتفيت بنجاحي في عملي.

اعتقالكِ تاج على الرأس

كنت في الأربعين من عمري عندما استلمت دعوى لموكل كان في دمشق وأنا في حلب، وكان هناك إعجاب وتوقعت عندما أقول له أنني معتقلة سوف يتراجع عن طلبه للزواج ولكن جوابه كان صدمة لي حيث قال لي كلمة لم أنساها: اعتقالك تاج على رأسي ، لكن لا نريد التحدث في هذا الأمر كثيراً أمام أهلي والناس الآخرين. واستمرت الحياة بهذا الشكل وقد كان الأمن توقف عن استدعائي في كل شهر عام 2003 ، ورُزقت بطفلتي عام 2007 ومع بداية الثورة عام 2011 تحرك شيء في داخلي.

مشاركة وحذر

عند انطلاق الثورة شعرت بأني وجدت شيئاً كنت أبحث عنه لسنوات فشاركت بكليتي في الثورة فكنت مع النتسيقات الخاصة بالمحامين ولكن كنت أعمل بحذر لأني أعرف أن النظام ولو لم يعد يستدعيني إلا أنه يراقبني ، عملت في كفالات المعتقلين في القصر العدلي وشاركت في المظاهرات وفي خياطة الأعلام ، وخصوصاً أنني كنت في حي صلاح الدين الذي كان من الأحياء الثائرة وفي أحد المظاهرات قالت صديقتي للمتظاهرين أنني كنت معتقلة سابقة لمدة تسع سنوات.

في اليوم التالي على الفور تم استدعائي لفرع الأمن وبقيت سبع ساعات في التحقيق وتم الإفراج عني بعد تهديدي والتوعد لي في حال المشاركة بأي شيء يتعلق بالثورة، ومع بداية الأحداث في سوريا فقدت زوجي مع الأسف فقد كان يعمل في دمشق في مستخضرات التجميل وعند خروجه من دمشق انقطعت أخباره بالكامل ولم أعرف عنه شيئاً حتى الآن.

خروج من الروح حفاظاً على الروح

بقيت في مدينة حلب اتنقل من حي لأخر وأقدم الخدمة للثورة بقدر ما أستطيع حتى عام 2014 حيث تم استدعائي من قبل فرع الأمن، وشعرت أنهم هذه المرة لن يتركوني دون أن يعتقلوني، فقررت الخروج من مدينة حلب التي كانت كالروح لي ولكني يجب أن أحافظ على روحي وعلى ابنتي التي لم يتبق لها أحد غيري.

كانت رحلة الخروج من حلب رحلة شاقة جداً فأنا لا أملك جواز سفر بسبب أني ممنوعة من استصداره فخرجنا أنا وابنتي ذات الست سنوات في رحلة طويلة استمرت حوالي الست عشرة ساعة واضطررنا للمرور على حواجز كثيرة وما زلت أذكر عند حواجز داعش أني اضطررت أن تلبس بنتي العباية وقال الركاب لي أني يجب ألا أظهر أني لوحدي دون رجل ، فتبرع رجل بالقول أنه زوجي وأعطيته هويتي.

حلب الروح

وصلت إلى تركيا ولم أشعر أني لاجئة فأنت في بلد لا تعرف لغته ولا عاداته ولا تقاليده وفوق كل هذا يجب عليك العمل لتأمين معاشك، انتقلت إلى مدينة عنتاب التي أشعر عندما استيقظ في الصباح أني أشم هواء حلب، قدمت الكثير من الورشات حول حقوق الإنسان وقضايا المعتقلين والمفقودين ولكني كنت أعيش تحدياً كبيراً من الناحية الاقتصادية.

أثناء عملي ونشاطي الإنساني كانت تأتيني عروض للعمل خارج عنتاب فأحد أصدقائي عرض علي العمل في استنبول ولكني رفضت لأنه كان عندي هاجس بأني أريد أن أكون قريبة من حلب لأستطيع الذهاب إليها بسرعة عندما تتحرر ولم تفارقني هذه الفكرة أبداً على مر السنوات ففي عام 2017 عُرض علي اللجوء وفي عام 2021 حتى أني ذهبت لإيطاليا مرتين عام 2021 وتم عرض اللجوء علي لكني رفضت لنفس الهدف ونفس الهاجس.

والآن بعد تحقق الحلم وتحرر سورية أنا ادعو الناس بكل أطيافها لتعود وتشارك في بناء البلد فنحن كنا بلا وطن ولا هوية ونعيش كالمشردين ولكن اليوم بعد أن كان عندنا وطن نخاف منه صار عندنا وطن نخاف عليه، الوطن الذي كنا نخاف فيه من أن نستخرج ورقة إخراج قيد اليوم أصبح لنا وسنبنيه سوياً.

رابطة معتقلي و مفقودي سجن صيدنايا
Association of Detainees & The Missing in Sednaya Prison